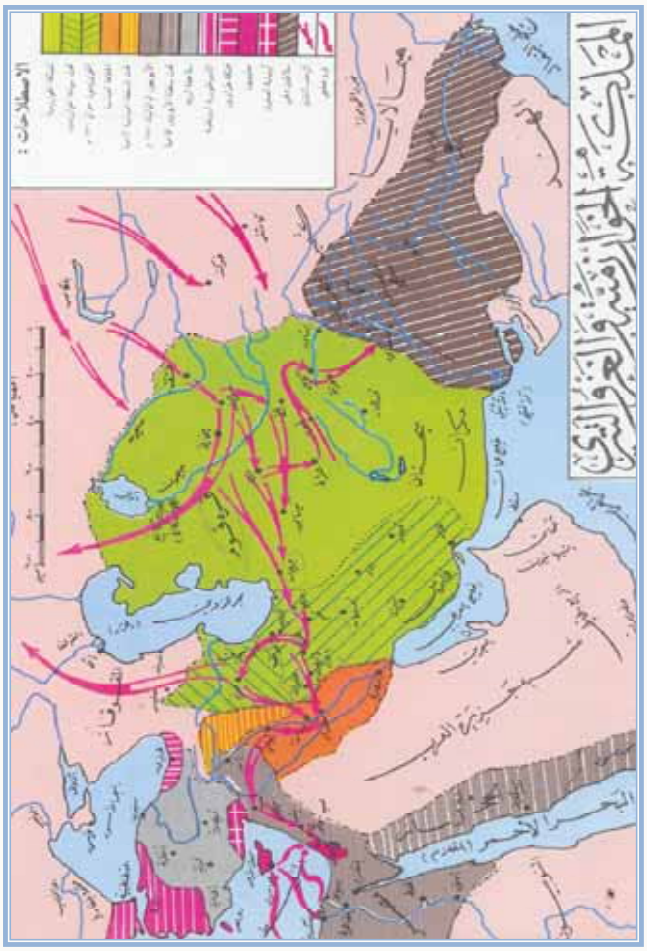

الدولة الخوارزمية ومواجهتها للزحف المغولي

ريهام المستادي

ماجستير تاريخ إسلامي

عضو جمعية الآثار والتاريخ الخليجية

جدة - المملكة العربية السعودية

riham_almistadi@hotmail.com

أوضاع العالم الإسلامي إبان ظهور المغول

عاش العالم الإسلامي في حالة من الضعف والوهن ، جعلته مقسماً إلى عدة دول تسيطر على بعض المناطق الهامة في الشرق الإسلامي ، خاصةً الخلافة العباسية في بغداد ، حيث بدأت علامات الضعف تظهر منذ سيطرة العناصر الفارسية والتركية التي تقلدت المناصب الهامة في الدولة ، فنتج عنها صراع بينها وبين العناصر العربية بسبب تطلع كل منهما إلى السلطة.

أفقد هذا الصراع هيبة الخلافة العباسية في قلوب الناس ، إذ بدأ حكام الولايات في الاستقلال بولاياتهم ، والاكتفاء بالولاء الرسمي للخليفة ، فظهرت عدة دول على الساحة نتيجة لهذا الضعف ، فظهر السلاجقة ومنهم خرج الخوارزميون ، ثم الأيوبيون فالمماليك. سيطر هؤلاء على الخلافة واتخذ حكامهم لقب "السلطان" ، ليبقى الخليفة العباسي في بغداد بلا سلطة[١].

وإذا نظرنا عن كثب لوجدنا أن العامل السياسي كان من العوامل التي قادت إلى ضعف الكيان الإسلامي ، إلا أن العامل الحقيقي والخفي والذي كان من أكبر أسباب تدهور الأمة الإسلامية هو العامل الديني. فابتعد الناس عامةً والخلفاء خاصة عن مبادئ الإسلام وتعاليمه ليتفشى الانحراف ، فعرف الخمر واللهو طريقة إلى قصور الحكام فانشغلوا بأمور دنياهم عن أمور دينهم. وتتجلى صور ذلك الضعف في استعانة بعض حكام المسلمين بالصليبيين ضد بعضهم البعض ، وتراهم تارة أخرى يستعينون بالمغول ، فأين ذهبت غيرة المسلمين على دينهم وعلى حرماتهم ، وكيف سولت لهم أنفسهم الاستعانة بأعدائهم.

قيام الدولة الخوارزمية

نشأت الدولة الخوارزمية بين أحضان دولة السلاجقة[٢] ، التي حكمت مناطق واسعة في الشرق الإسلامي ، ويعود الفضل في تأسيس هذه الدولة إلى (أنوشتكين) ، وهو احد العبيد الذين عملوا لدى السلطان السلجوقي في وظيفة الطشت دار[٣] ، فحظي بتقدير السلطان ونال ثقته ، فجعله والياً على إقليم خوارزم ، وظل على ولايته حتى وفاته سنة (٤٩٠هـ) ، ثم تولى ابنه محمد وكان على مقدره وكفاءة مثل أبيه ، فظل يحكم باسم الدولة السلجوقية ثلاثين عاماً حتى توفي سنة (٥٢٢هـ) ، ثم تولى ابنه (اتسز) بموافقة السلطان السلجوقي[٤] ، لكن

---

(١) عمران/ محمود سعيد ، المغول وأوربا ، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، د.ط ، ١٩٩٧م) ، ص١٤-١٥.

(٢) لسلاجقة: وتنسب هذه الدولة الى مؤسسها سلجوق بن دقمان ، واشهر سلاطينها (طغرل بيك) الذي عمل على توسيع عرش بلاده ، وتوفي في السبعين من عمره.

السيد أكرم/ السيد عبد المؤمن ، أضواء على تاريخ توران (تركستان) ، تقديم: احمد محمد جمال ، (استانبول ، د.ن ، د.ط ، ١٩٩٢م) ،ص٥٢-٥٣.

(٣) الطشت دارية: هي إحدى وظائف "الطشت خانة" ، ومعناه بيت الطشت ، وسميت بذلك لأن فيها الطشت الذي يغسل فيه القماش ، أي أنها المسئول عن لباس السلطان وغسيله.

القلقشندي/ أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) ، صبح الأعشا في صناعة الإنشا مج٤ ، تعليق: احمد حسين شمس الدين ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، د.ط ، د.ت ، ص٩-١٠.

(٤) صبره/ عفاف سيد ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، (القاهرة: دار الكتاب الجامعي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ) ، ص٣٦.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

ريهام المستادي ، الدولة الخوارزمية ومواجهتها للزحف المغولي.- دورية كان التاريخية.- العدد الثامن ؛ يونيو ٢٠١٠. ص٦٣ – ٦٧. (www.historicalkan.co.nr).

اتسز كان طموحاً فتطلع إلى مد نفوذه على حساب دولة السلاجقة ، فدخل في حروب مع الدولة السلجوقية ، ولم يكتفي بذلك بل سعى للتحالف مع قبائل (الخطا) التركية ، لأنه لم يستطع أن يقف أمام جيش السلاجقة بقوته الناشئة فاحتاج إلى حليف ، وبالفعل استطاع اتسز أن يوقع الهزيمة بسنجر وان يستولي بمساعدة الخطا على بلاد ما وراء النهر ، بعد معركة حامية الوطيس[٥].

وبعد وفاة اتسز اعتلي عرش الخوارزميين (أيل أرسلان بن أتسز) الذي يعد أول سلاطين الخوارزميين المستقلين[٦] ، الذي ترك ابنيه علاء الدين تكش ومحمود فسرعان ما دب الخلاف بينهما ، فاستعان أحدهما وهو تكش بالخطا ، بينما استعان أخيه محمود بالمؤيد ملك الغوريين فانهزم جيشه أما جيش تكش ، ويؤسر الملك المؤيد ثم يقتل ويصبح الحكم في يد تكش[٧] الذي أصبح من أعظم من حكموا خوارزم واستطاع أثناء حكمه أن يقضي على النفوذ السلجوقي في العراق ، وأن يخضع العراق العجمي ، كما تمكن من إلحاق الهزيمة بجيش الخليفة الناصر لدين الله ، وكان السبب في العداوة التي قامت بينهم أن الخليفة طلب من تكش ترك البلاد التي فتحها[٨]. ولما توفي تكش سنة (٥٩٦هـ) ، خلفه ابنه قطب الدين الذي تلقب بلقب أبيه علاء الدين[٩] ، فكان كأبيه طموحاً يتطلع إلى توسيع دولته وبسط نفوذها ، فدخل في حروب مع جيرانه واستولى على معظم إقليم خراسان ، وقضى على دولة الخطا[١٠] ، وكان القضاء على هذه الدولة أكبر خطأ ارتكبه السلطان علاء الدين ، فقد كانت السد المنيع بين المسلمين وقبائل المغول والتي جاورت دولة الخوارزميين عند زوال الخطا ، ولو قدر لهم البقاء لكانت سبباً في تأخر غزو المغول على البلاد الإسلامية.

وهذا التصرف من قبل السلطان علاء الدين يدل على قصر نظره ، وسوء تقديره للعواقب ، بأن يعادي جميع جيرانه ويقوم بمحاربتهم والاستيلاء على دولهم ، فقد كان شغله الشاغل هو توسيع دائرة ممتلكاته دون أن يهتم بتوطيد دعائم ملكه الداخلية ، أو إلى النظر فيمن هو عدوه الحقيقي ، وهناك دليل أخر على سوء تصرف ذلك السلطان ، فحدث أن التقى السلطان محمد خوارزم وهو في طريقة إلى إحدى الغزوات بفرقة من الجيش المغولي ، كان يقودها (جوجي) ابن جنكيز خان ، فحاول السلطان التحرش به ، لكن جوجي بعث إليه برسالة فحواها أن المغول ما قدموا إلا لقمع الثوار الخارجين ، ولم يأتوا لمحاربة المسلمين ، فلم يعجب هذا الكلام السلطان بسبب غروره فأعلن الحرب على فرقة المغول[١١].

كانت تلك الواقعة أول احتكاك بين الدولتين ، وعلى الرغم أن الحرب بينهما لم تأخذ طابع الحرب الرسمية ، ولم تسفر عن أي نتائج إلا أنها أظهرت مدى تنظيم جيش المغول وقوته[١٢] ، ونستنتج من تلك المعركة أن جوجي أجبر على القتال لأن والده لم يأمره بقتال المسلمين ، وترجع رغبة جنكيز خان في عدم دخوله في حروب مع المسمين ، أنه ليس بحاجة إلى محاربتهم كي لا تتعدد جبهات القتال لديه مما يرهق جيشه ويبعثره وهذا عكس ما كان يفعله سلطان الخوارزميين.

وعلى الجانب الأخر نجد بروز دولة المغول وتعاظم قوتهم على يد جنكيز خان ، الذي اخذ يعمل على بسط سيطرته على أعداءه ، ومد بصره إلى بلاد الصين لينتهي به الأمر إلى الاستيلاء على العاصمة بكين سنة (٦١٢هـ) ، ليزيد هذا الحدث هيبته في نفوس الجميع[١٣].

وبعد أن قضى كلاً من الطرفين على أعداءه ، ونتيجة لتجاور الحدود ، أصبح لا بد من وجود علاقات بين البلدين إما سلمية أو عدائية ، فكانت تلك بداية العلاقات السلمية ، حيث بدأها جنكيز خان بعلاقات تجارية ، فأرسل إليه ثلاثة من التجار المسلمين الذين توجهوا إلى بلاد المغول من أجل التجارة[١٤] ، فأكرمهم جنكيز خان وأحسن وفادتهم وأرسل معهم رسالة إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه[١٥] ، نصها " ليس نخفي عليك عظيم شأنك ، وما بلغت من سلطان ، وقد علمت بسطة ملكك ، وانفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض ، وأنا أرى سالمتك من جملة الواجبات ، وأنت عندي مثل أعز أولادي... الخ "[١٦].

عندما قرأ محمد خوارزم الرسالة استشاط غضباً ، لأنه رأى أنها تحمل صوراً من التهديد والوعيد ، وما زاده غضباً قول جنكيز خان بأن محمد خوارزم بمثابة الابن[١٧] ، قد يكون محمد خوارزم محقاً في غضبه وخاصة أن جنكيز خان أراد أن يعلمه انه فتح الصين ، وقد تكون هذة اشارة إلى مدى قوة المغول ، أما بالنسبة لقوله أنه بمثابة الابن ، فرغم أن جنكيز يكبره سناً إلا أن السلطان غضب لغروره فكيف لذاك الوثني أن يكون اباً لهذا المسلم. وفي النهاية قرر السلطان خوارزم شاه عقد المعاهدة التجارية بين الدولتين[١٨].

(٥) ابن الأثير/ عز الدين ابن الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ مج٩ ، تحقيق: علي شيري ، (بيروت: دار إحياء التراث ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ)، ص ٢٨٢.

(٦) حمدي/ حافظ احمد ، الدولة الخوارزمية والمغول ، (د.م ،د.ن ، د.ط ، د.ت)، ص٢٧-٢٨.

(٧) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ص٥-٦.

(٨) السيد أكرم ، مرجع سابق ، ص٥٥.

(٩) ابن خلدون/ أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، اعتنى به: أبو صهيب الكرخي ، (د.م ، بيت الأفكار الدولية ، د.ط ، د.ت)، ص١٢٩٥.

(١٠) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ص٢٩٢-٢٩٣.

(١١) الفقي/ عصام الدين عبد الرؤوف ، جمال الدين/ محمد السعيد ، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (المشرق الإسلامي بعد العباسيين ج٤)، (القاهرة: شركة سفير للطبع والنشر ، ط ١ ، د.ت)، ص٢٢.

(١٢) إقبال/ عباس ، تاريخ المغول ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، (د.م ، د.ن ،د.ط ،د.ت)، ص٦١.

(١٣) الصياد/ فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ج١ ، (بيروت: دار النهضة العربية ، د.ط ، د.ت)، ص٥٣.

(١٤) ابن عربشاه/ أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد ، (ت٨٥٤هـ)، فاكهة الخلفاء ومُفاكهة الظُرفاء ، تحقيق: ايمن عبد الجبار البحيري ، (القاهرة: دار الآفاق العربية ، ط ١ ، ١٤٢١هـ)، ص٥٤١.

(١٥) المصدر السابق ، ص ٥٤٣.

(١٦) فهمي/ عبد السلام عبد العزيز ، تاريخ الدولة المغولية في إيران ، (القاهرة: دار المعارف ، د.ط ، ١٩٨١هـ)، ص٤٩ ، وللإستزاده أنظر الفقي/ المشرق الإسلامي بعد العباسيين ، ص٢٢ ، ابن عربشاه/فاكهة الخلفاء ، النسوي/ سيرة جلال الدين ، ص٨٣-٨٤.

(١٧) فهمي ، مرجع سابق ، ص٤٩.

(١٨) فهمي ، المرجع نفسه ، ص ٥٠.

ولم يمضي وقت قصير على إبرام تلك المعاهدة حتى قدم جماعة من التجار من قبل جنكيز خان إلى مدينة (اترار) [١٩]، التابعة للدولة الخوارزمية، فطمع أميرها (اينال خان) ابن خال السلطان [٢٠]، فيما معهم من أموال وبضائع فأرسل إلى السلطان خوارزم يخبره بأن هؤلاء التجار ما هم إلا جواسيس أتوا في زي تجار، مما دعا السلطان إلى أن يقتلهم [٢١]، فكانت هذه الحادثة الفتيل الذي أشعل النار بين الدولتين.

وعندما سمع جنكيز خان بما حدث لتجاره غضب، لكنه لم يتسرع في شن هجوم على بلاد خوارزم، بل اظهر تريثاً، فأرسل إلى السلطان محمد خوارزم كي يقف على حقيقة ما حدث، وطلب في رسالته من السلطان محمد، أن يثبت حسن نيته، ويسلم اينال المتسبب في الحادث، ولكن السلطان هنا اظهر سوء تصرفه وتسرعه حيث قتل رسول جنكيز خان [٢٢]، ورفض تسليم اينال فلو انه تمهل وأثبت حسن نيته لما حدثت المجازر لتسليمه. وسبب رفضه صلة القرابة بينهم وما يتمتع به الأخير من مكانة عالية بين جيشه، وقد يكون هناك سبباً أخر وهو عدم رغبة السلطان محمد خوارزم، في إظهار ضعفه وانصياعه فيما طلب منه من الانصياع لأوامر جنكيز خان.

(١٩) اترار: وجاء في معجم البلدان أطرار:وهي اسم مدينة تقع في أول حدود الترك في بلاد ما وراء النهر، الحموي/ شهاب الدين بن عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان مج١، قدمها: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ص١٧٦، كما تعد هذة المدينة الواقعة على نهر سيحون مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها.

(٢٠) ورد ذكر اينال خان بأنه خال السلطان في أكثر من مصدر: الديار بكري/ الشيخ حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ج١، (بيروت: مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت) ص٣٦٨، الذهبي.

(٢١) الذهبي/ شمس الدين ابن عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، الشيخ شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٦٢)، ص٢١، السيوطي/ جلال الدين (ت٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص٣٧٥.

(٢٢) النسوي/ نور الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ حمدي، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، ١٩٥٣م)، ص٨٧.

بداية الغزو المغولي

وضع جنكيز خان خطة إستراتيجية محكمة للاستيلاء على إقليم خوارزم، فقسم جيشه إلى أربع أقسام وكل قسم يقصد جهة معينة [٢٣]، وكانت أول ضحايا جيش جنكيز خان مدينة أترار، فلم يبقوا على أي شخص فيها فكانت تحركهم نار الثأر والحقد على كل خوارزمي، ثم تلاها بخارى وسمرقند [٢٤] اللتين قتل جميع من فيهما وأحرقتا. وظل جنكيز خان وجنوده في تتبع دائم للسلطان محمد خوارزم شاه، حتى استطاعوا الحاق الهزيمة به وتملكوا بلاد ما وراء النهر [٢٥]، أما محمد خوارزم شاه فأنه فر إلى جزيرة في بحر طبرستان، وما لبث أن توفي حين سمع بخبر اسر والدته (تركان خاتون)، ومقتل أبناءه فوصى بالحكم قبل وفاته إلى ابنه جلال الدين [٢٦].

السلطان جلال الدين منكبرتي ومواصلة الصراع مع المغول

اعتلى جلال الدين عرش البلاد في ظروف قاسية تحتاج رجل أشبه بمعجزة كي ينقذ البلاد من فتك المغول. وقد استطاع جلال الدين تكوين جيش كبير في غزنه [٢٧]، التي اتخذها معسكراً له ولولايته في حياة أبيه، ودخل جلال الدين في حرب مع المغول فاستطاع أن يلحق بهم الهزيمة [٢٨].

كما خاض جلال الدين معركة ثانية ضد المغول فأوقع بهم الهزيمة للمرة الثانية في منطقة تدعى (بروان) سنة ٦١٨هـ [٢٩]، وكان لهذه المعركة اثر في نفس جلال الدين فاسترد ثقته بنفسه، ولكن بدلاً من أن يستفيد المسلمون من النصر الذي حققوه تفرق جيش جلال الدين، فاقتتل الجيشان ثلاثة أيام فر بعدها جلال الدين إلى الهند، مما جعل الطريق أمام المغول سالكاً إلى غزنه فدخلوها بلا عناء [٣٠].

مكث جلال الدين فترة من الزمن استطاع خلالها جمع قوة كبيرة من الجند الفارين من وجه المغول، وكوّن جيشاً استطاع به أن يخضع عدداً من الأقاليم الهندية، مما استدعى حكام أقاليم السند- بعدما تفاقم خطره- أن يتحدوا ضد جلال الدين [٣١]، فخرج من إقليم السند

(٢٣) الصياد، مرجع سابق، ص١١٢-١١٣.

(٢٤) الغامدي/ سعد بن محمد حذيفة، سقوط الدولة العباسية، (د.م، دار ابن حذيفة، ط٣، ١٤٢٥هـ)، ص١٢١.

(٢٥) الديار بكري، مصدر سابق، ص٣٦٨.

(٢٦) حمدي/ مرجع سابق، ص١٦١-١٦٢. /ابن سباط/ حمزة بن أحمد بن عمر (ت٩٢٦هـ)، تاريخ ابن سباط ج١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (طرابلس: جروس برس، ط١، ١٤١٣هـ)، ص٢٧٤.

(٢٧) غزنه: إحدى مدن خوارزم.
الحميري/ محمد عبد المنعم الصنهاجي، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، ط١، ١٩٧٥م)، ص٤٢٨.

(٢٨) ابي الفداء/ الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر ج٣، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، يحي سيد حسين، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت)، ص١٥٩/ ابن سباط، مرجع سابق، ص٢٧٥.

(٢٩) ابن الوردي/ زين الدين عمر، (ت ٧٤٩هـ)، تتمة المختصر في أخبار البشر ج٢، (النجف: المطبعة الحيدرية، د.ط، د.ت) ص٢٠٣/ الفقي، مرجع سابق، ص٩٦.

(٣٠) ابن كثير/ ابي الفداء اسماعيل القرشي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية مج٧، تحقيق: عبد الرحمن اللاذقي، محمد غازي بيضون، (بيروت: دار المعرفة، ط٥، ١٤٢٠هـ)، ص١٠٧.

(٣١) فهمي، مرجع سابق، ص٨٥.

قاصداً العودة إلى خوارزم ، وفي أثناء عودته استولى على إقليم كرمان [٣٢]، وفي ذلك الوقت كان المغول منشغلون في اختيار خليفة بعد وفاة جنكيز خان ، فانتهز جلال الدين هذه الفرصة شاناً عدة هجمات على المغول ، لكن (أوكتاي) خاقان المغول الجديد شنّ حرباً شامله على جلال الدين مما جعله يفر إلى جبال كردستان ليلاقي حتفه هناك على يد احد رجال الأكراد سنة (٦٢٨هـ)[٣٣]. وبمقتله سقطت الدولة الخوارزمية ، لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الغزو المغولي على بلاد المسلمين.

أسباب ضعف الدولة الخوارزمية وسقوطها

ظهرت الدولة الخوارزمية على مسرح الأحداث دولة قوية استطاعت أن تسيطر على معظم المناطق المحيطة بها ، حتى أن محمد خوارزم من شدة غروره وما بلغه من قوة ، كون جيشاً كبيراً لمحاربة الخلافة العباسية في بغداد ، طامعاً في إقامة الخطبة فيها[٣٤] ، حتى انه كثيراً ما أراد عزل الخليفة الناصر لدين الله وإقامة خليفة علوي شيعي بدلاً عنه يوالي آل البيت. لكن أهدافه باءت بالفشل ، إذ وقع على جيشه ثلج عظيم ، فسرّه البعض بأنه غضب من الله[٣٥] ، وكان في هذا الحدث أثر في تدهور العلاقات بين الطرفين.

وهناك عدة عوامل ساعدت على ضعف هذه الدولة منها ما كان ظاهراً للعيان وهو ضعف العالم الإسلامي ، إذ لم يكن هناك وحدة قائمة بين المسلمين ، فكان كل حاكم يتطلع إلى ما بيد الأخر من أراضي كي يستولي عليها ، كذلك اضطراب الحالة السياسية والاجتماعية داخل الدولة الخوارزمية [٣٦] ، بالإضافة إلى الأسباب التالية:

١- استيلاء السلطان محمد خوارزم شاه على جيرانه ، ورغبته في تأسيس إمبراطورية قوية على حساب القوى الإسلامية المحيطة به ، فكان لذلك اثر في إضعاف باقي الدول التي وقفت عاجزة أمام الزحف المغولي.

٢- تدخل والدة السلطان "تركان خاتون" في شئون الحكم ، وتقريبها أفراد عشيرتها وجعلهم في مناصب عليا في الدولة [٣٧].

٣- ضعف النظام الحربي رغم كثرة أعداد الجيش ، فاعتمد الخوارزميين في تكوين جيوشهم على العنصر التركي ، والذي أصبح مع مرور الوقت قوة عظيمة ضايقت أهالي البلاد منهم بسبب فسادهم وتخويفهم للأهالي وسرقة ممتلكاتهم[٣٨] ، ونشأ النظام الإقطاعي عرف منذ عهد السلاجقة, متمثلاً في تملك أفراد الجيش أراضي تلك الدولة[٣٩].

٤- ثورة عدد من البلدان الواقعة تحت السيطرة الخوارزمية بسبب ظلم الحكام[٤٠].

٥- تباين عناصر السكان في الدولة الخوارزمية إذ كانوا يتكونون من ترك وعرب وفرس ، فلم يكونون متحدين إلا في العقيدة الدينية[٤١].

٦- خوف السلطان محمد خوارزم شاه من المغول ففر من أمامهم.

٧- افتقار بلاط الخوارزمين إلى وزراء ومستشارين على درجة عالية من الثقافة السياسية.

٨- نشوب الخلاف بين أبناء السلطان على السلطة ، فاثر ذلك على الدولة[٤٢].

٩- تقاعس البلاد الإسلامية المعرضة للغزو المغولي عن حماية أراضيهم والفرار من وجه المغول.

١٠- وجود جواسيس للمغول داخل بلاد الخوارزميين للوقوف على أخبارهم.

١١- إقدام المغول على قتل من في البلاد التي تقع تحت سيطرتهم وتخريبها ، وقد يكون لديهم سبب في ذلك ، فمثلاً عند غزوهم اترار كان الدافع هو الانتقام ، كذلك خوفهم من تكوين حاميات عسكرية تهاجم الجيش المغولي ، لذلك عمدوا إلى قتل السكان وحرق المدن كي لا تصبح حصوناً للخوارزميين[٤٣].

وهناك سبب ساعد كثيراً في زوال تلك الدولة وهو قضاء الخوارزميين على دولة الخطا التي كانت تقف حاجزاً بينهم وبين المغول. وهناك دافع نستنتجه وهو إهمال سلاطين الخوارزميين في تنمية موارد بلادهم ، فقد انشغلوا بحروبهم عن إصلاحاتهم الداخلية ، فكان من الأجدى أن يوجهوا نظرهم إلى الداخل ويعملوا على توطيد دعائم حكمهم ، ثم يتجهوا إلى التوسعة في أراضي الدولة.

ومن أسباب ضعف الدولة الخوارزمية نستطيع أن نستخلص الأسباب التي جعلت من المغول دولة قوية ، وهي: لجوء جنكيز خان في بداية حكمه إلى توطيد دعائم ملكه بكل يسر وسهولة وان يضع قانون "الياسا" ليسير عليه الجميع ومن يخالفه يقتل ،[٤٤] واهتمامه بتنمية موارد دولته خاصة عن طريق التجارة ، بعقد المعاهدات. بالإضافة إلى الطاعة التي تميز بها أفراد شعبه ، فلم يسمع عن تمردهم أو محاولة لإسقاطه. والتنظيم الذي تمتع به جيش المغول وسرعتهم في الوصول للبلاد المراد غزوها. زد على ذلك ؛ حسن سياسة جنكيز وحنكته في مواجهة الصعاب ، وعدم تسرعه في اتخاذ القرار ، وهذا ما افتقر إليه سلاطين خوارزم ، بالإضافة إلى حاجة شعب المغول إلى مكان مناسب للحياة ، خاصّةً أنهم شعب رعوي يحتاج إلى مراعي خصبة ، كبيرة تغطي احتياجاتهم المتنامية بسبب زيادة أعدادهم.

---

(٣٢) ابن الوردي ، مصدر سابق ، ض٢٢٤.
كرمان: وهي أرض متصلة ببلاد فارس/ الحميري ، مصدر سابق ، ص٤٩١.
(٣٣) ابن سباط ، مصدر سابق ، ص٣٠١/ الفقي ، مرجع سابق ، ص٣١.
(٣٤) ابن الوردي ، مصدر سابق ، ص١٩٣/ العبود/ نافع توفيق ، الدولة الخوارزمية ، (بغداد: د.ن ،ط١ ، ١٩٧٨م) ، ص٩٧.
(٣٥) السيوطي ، مصدر سابق ، ص٣٥٩.
(٣٦) حمدي ، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، (القاهرة: دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٤٢٠هـ) ، ص١٣٤.
(٣٧) فهمي ، مرجع سابق ، ص٩٢-٩٣.
(٣٨) حمدي ، الدولة الخوارزمية ، ض٢٣٣.
(٣٩) حمدي ، الشرق الإسلامي ، ص١٣٦.

(٤٠) فهمي ، مرجع سابق ، ص٩٦.
(٤١) حمدي ، الشرق الإسلامي ، ص١٣٤.
(٤٢) فهمي ، مرجع سابق ، ص٩٦-٩٧.
(٤٣) فهمي ، مرجع سابق ، ص٩٨.
(٤٤) للإستزادة عن قوانين الألياسا ، أنظر: فهمي ، مرجع سابق ، ص٣٤-٣٥/ المقريزي ، الخطط المقريزية ، ص٣٨٤.

المصادر

- ابن الأثير/ عز الدين ابن الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ مج٩، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث، ط١، ١٤٢٥هـ).
- ابن خلدون/ أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، اعتنى به: أبو صهيب الكرخي، (د.م، بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت).
- ابن سباط/ حمزة بن أحمد بن عمر (ت٩٢٦هـ)، تاريخ ابن سباط ج١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (طرابلس: جروس برس، ط١، ١٤١٣هـ).
- ابن كثير/ ابي الفداء اسماعيل القرشي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية مج٧، تحقيق: عبد الرحمن اللاذقي، محمد غازي بيضون، (بيروت: دار المعرفة، ط٥، ١٤٢٠هـ).
- ابن عربشاه/ أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد، (ت٨٥٤هـ)، فاكهة الخلفاء ومُفاكهة الظُرفاء، تحقيق: ايمن عبد الجبار البحيري، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢١هـ).
- ابن الوردي/ زين الدين عمر، (ت ٧٤٩هـ)، تتمة المختصر في أخبار البشر ج٢، (النجف: المطبعة الحيدرية، د.ط، د.ت).
- ابي الفداء/ الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر ج٣، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، يحي سيد حسين، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت).
- الحموي/ شهاب الدين بن عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان مج١، قدمها: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
- الحميري/ محمد عبد المنعم الصنهاجي، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، ط١، ١٩٧٥م).
- الديار بكري/ الشيخ حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ج١، (بيروت: مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت).
- الذهبي/ شمس الدين ابن عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، الشيخ شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٦٢).
- السيوطي/ جلال الدين (ت٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).
- القلقشندي/ أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشا في صناعة الإنشا مج٤، تعليق: احمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).
- النسوي/ نور الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ حمدي، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، ١٩٥٣م).

المراجع

- إقبال/ عباس، تاريخ المغول، ترجمة عبد الوهاب علوب، (د.م، د.ن، د.ط، د.ت).
- أكرم/ السيد عبد المؤمن، أضواء على تاريخ توران (تركستان)، تقديم: احمد محمد جمال، (استانبول، د.ن، د.ط، ١٩٩٢م).
- الصياد/ فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ ج١، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ط، د.ت).
- العبود/ نافع توفيق، الدولة الخوارزمية، (بغداد: د.ن، ط١، ١٩٧٨م).
- الغامدي/ سعد بن محمد حذيفة، سقوط الدولة العباسية، (د.م، دار ابن حذيفة، ط٣، ١٤٢٥هـ).
- الفقي/ عصام الدين عبد الرؤوف، جمال الدين/ محمد السعيد، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (المشرق الإسلامي بعد العباسيين ج٤)، (القاهرة: شركة سفير للطبع والنشر، ط١، د.ت).
- حمدي/ حافظ أحمد، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٠هـ).
- حمدي/ حافظ أحمد، الدولة الخوارزمية والمغول، (د.م، د.ن، د.ط، د.ت).
- صبره/ عفاف سيد، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ط١، ١٤٠٧هـ).
- عمران/ محمود سعيد، المغول وأوربا، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ط، ١٩٩٧م).
- فهمي/ عبد السلام عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية في إيران، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، ١٩٨١هـ).

من مقالات الأستاذة ربهام المسنادي:

"رحلة قبائل المغول من التمزق إلى التوحد"

دورية كان التاريخية.- العدد الرابع: يونيو٢٠٠٩. ص٦٩ — ٧٣

(المغول/التتار)

لقد عرفوا بأسماء مختلفة منها التتار والمغول، وهي مسميات عدة لشعب واحد، فنجد مثلاً أسم التتار أو التتر قد أطلق على عدة قبائل بدوية تسكن شمال جبال أسيا الوسطى، وتشمل أنحاء من سيبيريا والتركستان وبلاد القرغيز (الستبس) وبعض المناطق المجاورة لشمال الصين. وأطلق الصينيون اسم التتار على الشعوب البدائية المتنقلة والتي تعيش في شمال أسوارهم، كما أطلق هذا الاسم في الغرب الأوربي منذ القرون الوسطى على المحاربين من المغول والترك الذين اشتركوا في فتوحاتهم مع جنكيز خان، ليتبع مدلول هذا الاسم المغول أنفسهم. أما المغول فقد برزوا على مسرح الأحداث في أواخر القرن السادس الهجري، وكقوة ذات شهرة واسعة خارج خدود منطقتهم في القرن السابع الهجري. ونستطيع أن نقول بأن المغول شيء والتتار شيء أخر، بحيث يمكننا أن نطلق على التتر مغول، ولا يمكننا القول بأن المغول تتراً، لأن التتر شعبه متفرعة من المغول وليس العكس، إذن الأصل هنا هم المغول. نشأ هؤلاء القوم في صحراء جوبى القاحلة، وهم يشبهون الترك في اللغة والمظهر العام ويحدهم من الشرق ارض الخطا، ومن الغرب الأويغوريين، وشمالاً القرغيز ونهر سلنكا وغرباً قبائل التنكت والتبت.